

الريف: مجتمع هادئ وخلاق، حضارته الجود والكرم، قامته قصيرة، ورقتها عريضة، يتألف من الأدوار العليا في عزة، ردائه فضفاض، مزركس بالأشجار والخضرة، طرزه الترع السمراء، والعشب المختلف أصنافه وألوانه. له ثوب الصيف، تزيئه عيدان الأرض المترابطة، يغمر سيقانه النحيلة ماء فرات، تنشط فيه الأسماك، وتتزوج وهي آمنة من إزعاج الصياديـن، تزيده أشجار القطن جمالاً بأكفها العريضة، وزهبها الأبيض. ثوبه الثاني: هو ثوب الشتاء، تلونه عيدان القمح الذهبـية، وهي تعرض سنابلها في سخاء وكرم، لتكون قوتاً للبشر، ومائدة لمناقير الطير. الـدرـب فيه ترابـى داـكـنـ، كـأنـه رـداءـ أـهـلـ الـوقـارـ، تـنـتـشـرـ عـلـىـ جـوـانـبـ الـأـشـجـارـ، ليـأـنـسـ بـظـلـهـاـ الغـرـيبـ وـالـقـرـيبـ، وـتـبـقـيـ أـغـصـانـهـ اـسـتـرـاحـةـ وـمـضـجـعـاـ لـلـطـيـرـ، وـعـصـافـيـرـ مـنـبـهـاـ طـبـيعـاـ لـاستـيقـاظـ الـفـلاـحـ. النـاسـ فـيـهـ سـوـاسـيـةـ، أـسـرـةـ وـاحـدـةـ، يـعـرـفـ فـيـهـ الغـرـيبـ مـنـ مـلـامـحـهـ، فـتـكـونـ وـقـعـ خـطـاهـ مـدـعـاهـ لـلـاسـتـضـافـةـ وـالـكـرـمـ. أـيـهـاـ الـقـادـمـ مـنـ أـوـسـاطـ الـمـدـيـنـةـ، مـنـ بـيـنـ الزـحـامـ وـالـضـوـضـاءـ، وـأـنـفـاسـ السـيـارـاتـ الـخـانـقـةـ، وـمـنـ قـيـدـ الـعـمـارـاتـ الشـاهـقـةـ، التـيـ طـرـدـتـ الشـمـسـ بـقـامـتـهـ الطـوـيـلـةـ، تـعـالـ إـلـىـ حـيـثـ الـرـيفـ، لـتـطـرـدـ أـنـفـاسـ الـعـلـلـ، تـعـالـ وـاـمـدـ قـدـمـاـكـ، وـتـنـفـسـ الصـعـدـاءـ تـحـتـ أـشـجـارـ الصـفـصـافـ، وـأـطـلـقـ بـصـرـكـ يـسـرـ وـيـمـرحـ، وـيـجـمـعـ حـلـلـ الزـرـوعـ، تـعـالـ اـمـلـأـ رـئـيـكـ بـأـرـيـجـ الزـهـورـ، تـعـالـ لـتـرـحـبـ بـكـ الزـرـوعـ، وـتـكـشـفـ لـكـ عـنـ وـجـهـاـ الـجـمـيلـ. أـيـهـاـ الـقـادـمـ مـنـ أـوـسـاطـ الـمـدـيـنـةـ، وـهـاـ أـنـتـ تـمـضـيـ بـيـنـ الزـرـوعـ، تـشـعـرـ أـنـ خـطـاكـ تـحـيـرـ، فـتـقـفـ مـنـدـهـاـ حـيـرـاـنـاـ، فـيـنـبـهـكـ الـأـولـىـ...ـ أـنـ تـبـدـأـ التـجـوالـ تـجـاهـ الـيـمـينـ، وـهـنـاـ يـتـبـيـنـ لـكـ سـاقـيـةـ تـدـورـ، تـشـدـهـ بـقـرـةـ تـسـرـ عـيـنـاـكـ، وـعـلـىـ شـمـالـكـ تـرـعـةـ عـشـيـبـةـ، عـلـىـ حـافـتـهـاـ بـطـ مـخـلـفـ الـأـلـانـ، يـقـذـفـ نـفـسـهـ عـلـىـ صـفـحةـ الـمـاءـ، يـذـكـرـ بـجـنـدـ أـكـتوـبـرـ وـهـوـ يـعـبـرـ قـنـاةـ السـوـيـسـ..ـ فـتـسـتـمـرـ عـلـىـ خـطـاكـ فـيـتـبـيـنـ لـكـ شـجـرـ الـجـمـيزـ الـمـثـمـرـ، الـمـرـصـوـصـ عـلـىـ حـافـتـيـ الـجـدـولـ الـعـرـيـضـ، فـتـحـسـ بـشـهـيـتـكـ تـسـوـقـ لـعـابـكـ طـلـبـاـ لـلـثـمـارـ الـطـازـجـةـ. وـهـاـ أـنـتـ تـرـسـلـ بـصـرـكـ لـتـرـقـبـ الـفـلـاحـيـنـ هـنـاـ وـهـنـاكـ؛ـ فـهـنـاـ رـجـلـ جـالـسـ وـبـجـانـبـهـ نـارـ تـنـدـلـعـ مـنـ فـتـاتـ الـأـغـصـانـ الـيـابـسـةـ، يـعـدـ لـنـفـسـهـ،ـ وـلـكـ حـاضـرــ شـايـاـ لـمـ تـنـذـوـقـ جـمـالـ نـكـهـتـهـ مـنـ قـبـلـ، وـمـنـ بـعـدـ يـقـعـ بـصـرـكـ عـلـىـ اـمـرـأـ تـحـمـلـ سـرـةـ، رـبـماـ فـيـهـاـ غـذـاءـ لـزـوجـهـاـ الـذـيـ يـضـاحـكـ الـأـرـضـ بـفـأـسـهـ الـعـرـيـضـةـ..ـ وـهـنـاكـ عـلـىـ حـافـةـ التـرـعـةـ الـكـبـيرـةـ، خـلـيـطـ مـنـ الـأـعـمـارـ، كـلـ مـنـهـمـ يـرـاقـ خـلـوـتـهـ فـيـ مـكـرـ وـ اـنـسـجـامـ، يـتـرـقـبـ غـوـصـ الـغـماـزـ الـطـافـيـ، كـيـ يـخـطـفـ السـمـكـ مـنـ عـالـمـهـ الـمـائـيـ..ـ وـقـدـ يـشـدـكـ تـغـرـيـدـ الـعـصـافـيـرـ وـهـيـ تـحـاـكـيـ فـوـقـ الـأـغـصـانـ، وـيـعـجـبـكـ نـباتـ (ـالـحـلـفاـ، وـالـبـوـصـ)ـ الـمـنـتـشـرـ فـيـ جـمـاعـاتـ، وـكـأـنـهـاـ عـائـلـاتـ تـسـكـنـ الـحـوـافـ..ـ وـيـدـهـشـكـ طـيـورـ الـبـعـجـ الـمـهـاـجـرـ، الـأـمـنـ فـيـ الـمـرـاعـ الـوـاسـعـ، وـقـدـ تـثـيـرـ الـأـسـمـاـكـ، وـهـيـ تـغـوـصـ وـتـطـفـ، وـكـأـنـهـاـ تـحـنـفـلـ بـحـضـورـكـ، وـيـدـفـعـكـ الـفـضـولـ بـأـنـ تـحـاـكـيـ فـلـاحـاـ، لـتـسـقـىـ مـنـ رـجـولـتـهـ وـعـزـتـهـ وـكـرـامـتـهـ وـطـيـبـةـ قـلـبـهـ..ـ يـاـ رـيفـ يـاـ صـاحـبـ الـفـضـلـ وـالـكـرـمـ، هـنـيـأـ لـأـهـلـ بـتـمـيـزـكـ، وـهـنـيـأـ لـأـهـلـ الـمـدنـ بـخـيـرـاتـكـ